بحزمة من الأسلاك الكهربائية المغلفة بعناية بشريط عازل لاصق!.. لم أكن أبدا أمتلك تلك العزيمة والرغبة في النجاة من قبل!

أصبحنا نحن الناجين ينادي كل منا الآخر باسم محمد وأحمد باعتبار أن هذين الاسمين هما المنتشران بين راكبي العبارة...هكذا بدا لي من خلال جوازات السفر عند النداء على المسافرين.. أصبحنا ينادي بعضنا بعضا بهذين الاسمين كل فترة ليطمئن كل منا على الآخر..

كانت صيغة النداء يا محمد ! يا أحمد! لا إله إلا الله.. محمد رسول الله !! قد يأتي النداء من حنجرة قوية، وقد يأتي خافتا ثم لا يلبث أن يخبو ويخبو حتى يصبح شديد الخفوت.. هنا يكون البقاء لله!! فقد ابتلع البحر جثمانا جديدا ليستقر مع رفقائه في الأعماق طعاما للأسماك.

يا لك من بحر جبار! كم ابتلعت في أعماقك من بشر...! ابتلعت تاريخا.. سنوات وأعمارا..ابتلعت مشاعر وآمالا.. وأنت رابض جسور.. في ظلمة أعماقك تربض وحوشك كامنة في سكون، كل إنسان تاريخ يسير على قدمين.. سنوات من الألم والفرح.. الحزن والمرح.. إنها أعمار مترامية الأعوام.

وسط ظلام دامس لا تبصر فيه عيناي أي ملمح لحياة، حتى إني أعجز عن رؤية يدي بدأت في تذكر قصة يونس - عليه السلام - في جوف الحوت! فإذا بهاتف في نفسي يردد يا نبي الله! كم كانت محنتك أليمة!

بدأت أهتف مرددا: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين! ويهتف خلفي المرددون.. حتى إننا بدأنا نصلي جماعة! وكل منا متعلق بشيء ما، ولكننا جميعا كان متعلقنا الأول هو الأمل بالله!

كنت أدعو الله.. أنقذني يا رب من محنتي.. أصبحت طيلة تلك الأيام الثلاثة التي قضيتها معلقا بلوح الخشب أواظب على الصلاة رغم أني لم أكن منتظما فيها طوال حياتي كلها !!

أستطيع أن أقول: إنني عرفت التضرع لله خير معرفة طوال تلك الأيام الثلاثة ■

ذكرى عابرة

بقلم: نجوى ناظر - سورية

أراك كالمبحر بلا شراع في ليل الهموم ،وسط ذلك الموج المتلاطم من الذكريات،المنسكبة من غيب الماضي،لتصنع ذكريات جديدة لحاضرك الذي يتأبط زوادة الألم،وأنت تعبر جسر الجراح التي لا تزال تنزف أوجاعك المتراكمة وأحلامك المتحطمة على صخر الجفاء والإحباط،والجميع ينظرون إليك مستغربين كيف لا تزال تواصل المسير متحديا تلك العواصف المحملة بغبار التغيير وضباب الانقلاب على كل ماهو جميل في النفوس ،تنظر بعينيك المتألقتين بالكبرياء إلى الأفق المتلون بأشواقك التي تحترق بنار الهجر في موقد الحنين على وجه الشمس المنزلقة وقت المغيب إلى موطن الشروق الآخر ليبلغك بعد قليل ليل السكون والخوف والتفكير.

أنا أعلم أنك تحب الألم غير أنك في الوقت نفسه متطلع إلى الأمل المختبئ في خواطرك الفياضة بالحب ،والأمنيات تورق في روض الذكرى،وتزهر في ربيع الوداع معطرة درب الرحيل بأريج السفر الأخير إلى صيف العطاء حيث موسم الحصاد يكون قد جمع الزارعين حول البيادر المتناثرة، وتنساب في الأسماع أغنيات الفرح بخبز الأيام القادمة، غير أن قمحك يولد في صباح القهر مع الشروق الجديد مرتسما على دفتر حياتك قصيدة حزينة، ولحنا تردده الأصداء، وأنا أودعك إلى مثواك الأخير لتطلع حلما متوردا على صفحة الذكريات العابرة ■